لقاء

مع أبي زبيدة

مؤسسة النازعات
Anaziat

ذو القعدة
١٤٤٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

لقاء مع أبي زبيدة

النازعات

ذو القعدة ١٤٤٦

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

من مقاصد مشروع «النازعات» توثيق ما أمكن من تاريخ حركة التوحيد والجهاد والسنة -كما يحب أن يسميها الشيخ عطية الله- وأعيانها؛ مَن قضى منهم ومَن ينتظر. وأول مصادر تاريخها وتاريخهم: كتاباتهم وسردهم للأحداث، وهي أولى بالتقديم من المتطفلين كبعض الخصوم أو التجّار من الصحفيين أو المحرّفين للتاريخ الذين يمررون تراجعاتهم بتحريف التاريخ والتدليس في روايته.

لهذا، كان الاعتناء بتفريغ الشريط المصوّر لأبي زبيدة -ثبته الله وفكّ أسره- الذي حازه الأمريكان -فيما يظهر- حين أسره ومَن معه في باكستان. الشريط المعني عبارة عن تسجيلات تجريبيّة لإجابة القائد أبي زبيدة، تعاد فيها الإجابات غير مرة، لذلك انتهجنا في هذا التفريغ جمع الزوائد في محلها من إجاباته، وإغفال المكرر. وقدّمنا بترجمة لأبي زبيدة من كتاب «القائد أبو زبيدة: هكذا عرفته وهكذا أُسِر» للشيخ عبد الله العدم فإليه يرجع مَن أراد التفصيل.

وإلى الله سبحانه نرغب بأجهد الرغبة أن يُفرّج عن عبده أبي زبيدة وعن جميع أسرى المسلمين.

النازعات

أبو زبيدة فِي سطور

عبد الله بن خالد العدم

أبو عبيدة المقدسي

تتزاحم الكلمات، وتتبعثر الجمل عند الكتابة عن أولئك الذين سطّروا التاريخ، وشيدوا المجد فوق بحور من دمائهم وصبرهم وتضحياتهم، رجال وجدوا عندما قلّ الرجال، وتقدّموا عندما تراجع الشجعان.

أبو زبيدة اسم غرسه التاريخ في ذاكرته، وسطّره بأحرف من نور على صفحاته القليلة.

عَلَم من أعلام الجهاد في هذا الزمن المليء بالمتناقضات، حيث الفضيلة أصبحت رذيلة، والرذيلة غدت فضيلة، وأصبح الحق باطلًا، والباطل حقًّا، وانقلبت الموازين وتعالت فيه أبواق الملحدين، وخفتت وكادت تصمت فيه أصوات الدعاة الموحدين.

عرفته ساحات الجهاد فوق ذرى أفغانستان مَنبتًا للعطاء، وموردًا للصفاء، سالت دماؤه فوق جبالها فأنبتت رجالًا، وأنارت دروبًا مظلمة للباحثين عن طريق النجاة.

ولد **زين العابدين مُحَمَّد حسين** -المعروف بأبي زبيدة- في الشهر الثالث [آذار] من عام ١٩٧١م لأبوين من فلسطين، تجرّعا مرارة بيع فلسطين، ثم ارتحلا للعيش في الأردن، وبعد ذلك شدّوا رِحالهم، واستقرّ بهم المقام في مدينة الرياض في بلاد الحرمين، حيث نشأ أبو زبيدة وترعرع هناك وسط عائلة محافظة.

تجرّع أبو زبيدة المرارة منذ نعومة أظفاره، ورأى الذلّ والهوان الذي تحيا فيه أمته الإسلامية والصراعات القومية التي تعيشها، وذاق طعم غربة الإسلام فشبّ وقد تغذّى جسده وارتوت عروقه من آلام أمته وهمومها.

بدأ أبو زبيدة مسيرته الدراسية في مدارس مدينة الرياض، وأكمل دراسته فيها حتى أنهى دراسته الثانوية، ثم عزم على مواصلة دراسته الجامعية، وفي تلك الفترة التي كان ينتظر فيها الالتحاق بالجامعة سافر إلى أمريكا، وإلى عدد من الدول الأوروبية واطّلع بنفسه على تلك الأجواء العفنة التي افتتن بها الكثير من الشباب المسلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

شاهد تلك الشعوب الغارقة في مستنقع الجنس والرذيلة والمخدرات، شعوب تحيا كالأنعام، بل هي أضل، شعوب لا تملك من القيم والأخلاق والفضيلة شيئًا، همُّها ومبلغُ علمها كيف تأكل وكيف تنام وكيف تقضي شهواتها البهيمية، هذا هو الطابع الذي يُغلّف واقع تلك الشعوب التي تدّعي الرقي والتقدم والحضارة!

غَصّه ما رأى وشاهد، وزادهُ غُصّةً وألَمًا ذاك الواقع المرير الذي تعيشه الشعوب المسلمة، وكيف أنّ هؤلاء الحثالة –النصارى الغربيين– يتحكمون بمقاليد الأمور في بلاد المسلمين، ينهبون خيراتها، ويدنسون مقدساتها بعمالة تلك الدمى الجاثمة على صدر الشعوب المسلمة المستضعفة الهائمة على وجهها، والتي فقدت عزتها عندما تركت دينها، واستبدلت شرع ربها المحكم بدساتير من صنع البشر.

بدأ أبو زبيدة دراسته في إحدى الجامعات الهندية، حيث التحق بقسم هندسة الكومبيوتر طالبًا على مقاعد الدراسة.

ومن فوق مقاعد الدراسة بدأ الصراع والمواجهة بين التيار الإسلامي، الذي يمثل أبو زبيدة أحد أفراده، وبين التيارات القومية الفلسطينية الأخرى التي ترفع شعارات قومية، وبعثية وشيوعية، وغيرها من الشعارات الكفرية الأخرى، التي جُرّبت فوق ذرى فلسطين المباركة وأثبتت فشلها الذريع، في أن تعيد شبرًا واحدًا مما قد اغتصب.

في خضم تلك الزوبعة انصقلت شخصية أبي زبيدة، وتبلور فكره وبدأ يخطو بخطى سريعة للالتحاق بركب المجاهدين المبارك.

وأخيرًا، جاء اليوم الذي أكرم الله فيه أبا زبيدة بالجهاد في سبيله.

قال لي واصفًا ذلك اليوم: «لقد سمعت الكثير من الخطب الرنانة، وقرأت الكثير من الكتب التي تتكلم عن الجهاد، لكنني لم أحفل بالعثور على ذلك

الشخص الذي يقول لي هذا هو الطريق. وبقيت على هذا الحال، حتى جاء اليوم الذي شاء الله لي فيه أن ألتحق بقافلة الركب المبارك من المجاهدين الكرام، حيث ساقَ الله لي مجلة «الجهاد»، التي يُشرف على إصدارها الشيخ **عبد الله عزام** رحمه الله.. قلّبت صفحاتها جيدًا وإذ بضالتي المنشودة التي طالما بحثت عنها؛ رجل يتحدث عن الجهاد ويُرشدك إلى الطريق الذي تسلكه حتى تصل».

وجدَ أبو زبيدة الدرب الذي طالما تمناه، فقرر في عام ١٩٨٩م التوقف عن إكمال دراسته الجامعية، والسفر إلى أفغانستان، حيث ينبوع العزة ومورد الصفاء، ومصدر صقل النفس البشرية، وارتفاعها عن أوهاقها.

وما أن وطأت قدماه أرض بيشاور، حتى التحق بمعسكرات الإعداد والتدريب، أعدّ العُدّة بمصانع الرجال، وما لبث أن التحق بجبهات القتال، حيث الرصاص وحده يُعبّر عن عِزة هذا الدين، ومَنعة هذه الأمة.

تنقّل أبو زبيدة في عدة جبهات، ثم استقر به المقام في جبهة خوست، فقد شرّفه الله هناك مع إخوانه المجاهدين بفتح مدينة خوست، بعد معارك طاحنة وحصار طويل للمدينة. فُتحت خوست، فلم تُطق نفسُه البقاء جالسًا، فذهب يبحث عن شهادته هناك فوق جبال غارديز.

وهناك فوق ذرى غارديز كان على موعد مع قدره الذي ساقه الله إليه، فقد أُصيب بشظية من إحدى القذائف التي أطلقها الشيوعيون على معاقلهم، ولم

تجد تلك الشظية سوى رأسه لتستقر به، وعلى إثر هذه الإصابة فَقَدَ ذاكرته لمدة سبعة أشهر ويزيد. وبعد أن أتم علاجه، ومَنّ الله عليه بالشفاء، استقر به المقام في بيت الشهداء حيث أصبح أميرًا له.

توالت الأيام والأشهر مسرعة، وأصبح حليفُ الأمس –الحليف بأوامر من أسيادهم وحفاظًا على مصالحهم– عدوّ اليوم، فقد بدأت الأجهزة الأمنية الباكستانية –بأوامر من أسيادها اليهود والنصارى– بمطاردة المجاهدين العرب، والقبض عليهم وترحيل بعضهم، وتسليم البعض الآخر وأغلقت مكاتب المجاهدين بغرض القضاء على الوجود العربي في باكستان وأفغانستان.

اعتقل أبو زبيدة في تلك الحملات الإجرامية حيث كان مطاردًا بصفته أميرًا لبيت الشهداء، وزُجّ به في زنزانات الغدر والخيانة، وباءت محاولاتهم التعرف عليه بالفشل –بفضل الله– وأطلق سراحه بعد أربعة أشهر من الاعتقال.

خرجَ أبو زبيدة من السجن، ولم يزدد إلا إصرارًا وعزيمة على مواصلة الطريق، بالرغم من العقبات والمصاعب وما حلّ به في زنزانات الاعتقال، فقد أخَذ على عاتقه إعادة تنظيم وترتيب الأوضاع من جديد في باكستان، بعد تلك الحملات التي استهدفت القضاء على الوجود العربي في باكستان وأفغانستان.

انتهج أبو زبيدة أسلوب العمل السري في خدمته للجهاد والمجاهدين في مشارق الأرض ومغاربها، واستمر على هذا النهج حتى جاء ذلك اليوم الذي شاء الله له أن يسقط فيه مُضرّجًا بدمائه، ثم يُؤخذ أسيرًا إلى غيابات السجون.

يقول أبو زبيدة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

حقيقة أنا لست من الناس التي تؤيد هذه اللقاءات الصحفية، ولست أرى فيها أي فائدة. عدونا يعرف لماذا نحن نقاتله، وصديقنا يعرف أنّا نحن على الحق، لأننا إنما نتّبع ما قال الله وقال الرسول في مقاتلة أعداء الله من يهود أو نصارى أو مرتدين أو الهندوس، أو الملحدين، كل هؤلاء، كل أعداء الإسلام هم أعداؤنا.

كما أسلفت، لست أؤيد هذه اللقاءات الصحفية، لست أؤيدها حقيقة، إنما نصحُ الناصحين ليعرف عدونا لماذا نحن نفعل؛ اليهود، النصارى، أمريكا، وكل مَن حالفها. عدونا يعرف لماذا نحن نقاتلهم، ومَن هم معنا يعرفون إنما نعمل ما نفعل تطبيقًا لأمر الله تعالى في مقاتلة أعدائه؛ اليهود والنصارى، أمريكا وحلفائها، من دول عربية حكام مرتدون، أو دول أوروبية أفريقية أو الهند، أو من الدول الإسلامية حكامها مرتدون لا يطبقون شرع الله، أقول: إنما نقاتلهم تطبيقًا لأمر الله.

وعن علاقتنا بالشيخ **أبي عبد الله أسامة بن لادن**، حقيقة، فالشيخ ابن لادن هو شيخنا، وقدوتنا، وأخونا، وأميرنا، جزاه الله خيرًا عنا وعن الإسلام والمسلمين.

نحن وهو شيء واحد، بيننا تنسيق كامل، من تقريبًا ١٩٩٥، اكتمل في ١٩٩٦، تقريبًا هكذا، والحمد لله رب العالمين، وفقنا الله إلى الأمور التي ارتأينا أنها في صالح الإسلام والمسلمين.

كنا نعمل معًا تقريبًا من عشر سنوات، ولكن كنا ارتأينا أن يكون عملنا سريًّا أو مخفيًّا، من ١٩٩٠، أو ١٩٩٢ تقريبًا. في ٢٠٠٠، ٢٠٠١ لم يعد الأمر سريًّا، للظروف التي حدثت في أفغانستان أو ما بعدها، هذا الأمر هو الذي أجبرنا أن نعلن عن أنفسنا. لعشر سنوات، الحمد لله، وفقنا الله ألا نظهر في الصورة، لكن كما قلنا، الأمور التي حدثت، مع نصح الإخوة الناصحين، إذ ارتأينا أن نظهر في الصورة حتى لا تُستغل أعمالنا من ناس أو تنظيمات ليست على المنهج الذي نرتئيه في محاربة أعداء الله.

مسألة مشاركتنا له في بعض الأعمال كما يقولون في الإعلام، هذا فخر لنا، وشرف لنا، ونسأل الله أن يوفقنا وإياه.

أما بالنسبة للسؤال الذي طرحتَه، ألا وهو علاقتنا بالعمليات الإرهابية كما تسمونها، ونحن أيضًا نسميها عمليات إرهابية لأنّ الله أمرنا بها، قال الله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ونحن إنما نرهبهم تطبيقًا لشرع الله، وبما أمر الله.

شاهدي في الكلام: العمليات التي حدثت من ١٩٩٠ إلى وقتنا الحالي، واتهام الجهات الأمنية أو الدول الكافرة أو المرتدة أو دولة اليهود، بأنّا كـ«منظمة الشهداء» لنا علاقة بها، من تفجير المركز التجاري الذي قام به الأخ **يوسف رمزي** جزاه الله خيرًا عنا وعن المسلمين[١]، ثم العمليات التي حدثت في جزيرة العرب؛ في الخُبر والعليّا، ثم العمليات التي قام بها الشيخ ابن لادن في السفارتين الأمريكيتين في كينيا وتنزانيا، ثم عملية «كول»، ثم العلمية الرائعة حقيقة في جزيرة منهاتن في المركز التجاري أو غيره من الأماكن في واشنطن ونيويورك، ثم الأعمال التي حدثت بعدها، حقيقة إني من أكثر الناس تأييدًا لها. والأعمال خلال هاتين السنتين، الأعمال في أمريكا أو خارجها، أو في داخل إسرائيل، أو ضد اليهود خارج إسرائيل، واتهامهم لنا بالمشاركة في العمليات الاستشهادية في داخل فلسطين من ١٩٩٠ حتى وقتنا الحالي ٢٠٠٤[٢]، حقيقة، إن كنا شاركنا فلنا الفخر والله، وإن كنا لم نشارك فنسأل الله أن يغفر لنا.

لكن لندعها لله، فهذا أمر بيننا وبين الله، الله أعلم، لن أقول نعم أو لا.

---

(١) لعله سبق لسان، والصحيح: رمزي يوسف ثبته الله وفكّ أسره.

(٢) لعله سبق لسان، فقد أُسر القائد وصحبه في لاهور يوم الخميس ٢٨ آذار ٢٠٠٢م. ثبتهم الله وفكّ أسرهم.

جزى الله مَن شارك بالمال وبالجهد أو مَن قدّم نفسه شهيدًا في سبيل الله نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا. إن فعلنا أو شاركنا في المال أو الجهد أو التنفيذ، نسأل الله، نسأل الله العظيم أن يتقبّل منا، ويتقبّل ممن فعل من إخواننا.

نحن نعترف ونقرّ أننا مع كل جماعة توحّد الله بالطريقة العملية، وتجاهد قولًا وفعلًا وعملًا واعتقادًا، نحن معهم، نؤيدهم بالمال، بالجهد، بالأفكار، بالتنسيق، نحن معهم. نحن نؤيد هذه العمليات ونؤيد كل مَن يعمل على أعداء الله، نحن إنما خدم لمن يشارك أو يخدم الإسلام والجهاد. وأعداء الله لن يهنؤوا بإذن الله تعالى.

من سنوات طويلة والحمد لله ونحن نتعاون مع كل مَن يخدم هذا الدين.

حقيقة، أنا أستصغر نفسي أمام مشايخنا الكبار، لست أرى نفسي أمامهم إلا طفلًا صغيرًا، حقيقة. لكن كلٌّ يقوم بجهده، وأنا كشخصي أو مَن أمثلهم في «منظمة الشهداء»، كلنا خدم لمن يخدم هذا الدين.

حقيقة أردت أن أقول شيئًا: ليعلم أعداء الله أنّ المسلم مهما طال من وقت، لن ينسى ثأره. البعض يقول نحن ننتقم.. نعم، ننتقم، ننتقم لكل مسلم، لكل مسلمة. المسلم -في اعتقادي- وإن تأخر في الردّ فإنه رادّ لا محالة. قتلوا من المسلمين ما قتلوا، لن نترك مَن قتل مسلمًا واحدًا، بقدر ما نستطيع، لن نتركهم بإذن الله تعالى.